جماعة «الجدار» في معرضهم الأخير في أبو ظبي:

دعوة للحوار البصري بين اللوحة والمشاهد

محمد يوسف ديوب *

■ انها عودة مهمة، في وقت تشهد فيه الساحة التشكيلية في الإمارات تغيرات ومتعطفات واضحة، سواء على مستوى المعارض أو على مستوى الأنشطة الفنية المختلفة رغم تمادي أغلب الفنانين في الإفراط بالحداثة، بالإضافة إلى الميل للتقنيات الرقمية هاربين من صرامة التقنيات اللونية أو الغرافية، باستغلالهم الإمكانيات الكبيرة المتاحة والتي تعتبر فرصة ذهبية، بإذابهم إلى ما بعد الحداثة وكسر عامل الزمن والمنطق، فحدث نوع من الجفاء بين الجمهور والصالة، اما جماعة الجدار فغردت بأسلوب مختلف، وإن كان لكل فنان منها خصوصيته.

يعتبر معرض جماعة الجدار في قاعة بن قاهر في المجمع الثقافي - أبو ظبي عودة مختلفة، والذي يعد الثاني بعد معرض دبي الذي أتى بعد انقطاع دام أكثر من عشر سنوات فكان بمثابة إعادة الروح لهذه الجماعة التي ضمت ثمانية من نخبة الفنانين الذين كانت لهم بصمات في الحركة التشكيلية الإماراتية وإن حمل بعضهم جنسيات مختلفة من فلسطين وسورية والعراق.

الجماعة التي دعت في بيانها الأول إلى حوار بينها وبين المبدعين في جميع المجالات وخصوصا الفنانين التشكيليين الآخرين، وكانت الدعوة لبعض فناني الإمارات للانخراط في هذه الجماعة والمشاركة في حواراتها البصرية.

فتأتي جماعة الجدار وإن اختلفوا بالأساليب الفنية والمعالجة التقنية حملوا هماً واحداً وهو الارتقاء بمستوى التشكيل الإماراتي، والتأسيس لثقافة بصرية لها نمايزها وخصوصيتها فجمعهم حب الفن وهذه الأرض الطيبة التي تحمل اللون الخاص، ليعزفوا باللون والشكل ترانيم تشكيلية مميزة.

وكان هذا المعرض وإن تأخر قليلاً، وكنا نتمنى أن نشاهد كل سنة معرضاً جماعياً لهذه الجماعة، وإن كان أعضاؤها يقيمون معارضهم الفردية وأيضا يشاركون بمعارض وفعاليات مختلفة بشكل مكثف، ولكن، ولا بد من إقامة الزمن من المعارض لهذه الجماعة لما تحمله من نكهة خاصة ومختلفة وهذه الجماعة هي الوحيدة التي تبقت كتجمع فني له رسالته الواضحة.

الفنان إحسان الخطيب يعنون لوحاته بالدهشة ليسكن الحروفية من خلال الخط العربي الذي يتمدد على لوحته قادماً من مشهد صباحي عبر نافذته إلى مساحة شاشته في الشارقة، هكذا يقدم أعماله المشاركة بالمعرض ويعنونها عبر مد وجزر لونيّ يتركه لينساب على المساحات بحرّية وإن كان يعالج لوحات تكتنف خلال الهم الإنساني، ولا يغفل الجمالية المطلقة للوحة وإن كان يحملها المزيد من الفكر المشبع بالسياسة والرياضة ومظاهر حياتية مختلفة.

فهو وإن أوغل بصرياً بالتجريد ولكن ذكرياً ترى الوضع يختلف كونه حمل هذا الاهتمام بالإنسان إلى مستطيل لوحته ليخرج بمجموعة خاصة من التعبير الإنساني بشكل أولي ويكرس عمله من خلال الهم الإنساني، ولا يغفل الجمالية المطلقة للوحة وإن كان يحملها المزيد من الفكر المشبع بالسياسة والرياضة ومظاهر حياتية مختلفة.

الفنان أحمد حليوز يدخل لوحته في مهمة

لوحة لطلال معلا (القدس العربي)

لوحة لعبد الكريم سعيد (القدس العربي)

لوحة لمحمد فهمي (القدس العربي)

اللوحات، ومحافظاً في نفس الوقت على خط فني توصل إليه عبر سيرة فنية خاصة وكفاح فكري واضح للوصول إلى نتائج فنية مختلفة أثمرت من خلال أعماله عن مجموعة من الأعمال الفنية ذات الطابع الخاص، وهنا يجب أن نقول هذا الفنان يحمل في جعبته الكثير..

أما طلال معلا فهو يعرض بعض من لوحات أتت عبر فترة غير قصيرة من تجربة خاصة بدأت من خلال الوجوه التي كرسها عبر لوحاته وبمعالم خاصة خارجا من قيد النسبية، وإن قدمت ملامح حزن مع لوحاته ولكن هذا الحزن إيجابي كما عبر عنه الفنان تصريحاً من خلال دليل المعرض ليؤكد اهتمامه بقيم المحبة والعدالة والسعادة والمتعة ليخرج بالفن كحاجة اجتماعية إنسانية، وإن أوغل طلال برؤيا فلسفية عبر وجوهه التي عالجها بألوان داكنة في بعض اللوحات.

ويختزل الفنان د. عبد الكريم السيد الشكل الأنثوي من خلال فلسفة جسدية يختزلها برمزية خاصة معطياً ألوانه خصوصية بتجربة استمر منذ سنوات بعملية البحث فيها وقدم مجموعة من المعارض الشخصية من خلالها ليبرز دور النسكين في معالجة اللون من خلال أسلوبه الخاص، ويبتعد قدر المستطاع عن إعطاء التفاصيل موغلاً في رمزيته ليعطي اللوحة روحانية خاصة.. اللون هو محركها، ولا شك بأنه يقدم بذلك رؤيته الخاصة ويخرج من حدود التشكيل إلى رؤيته الفلسفية الخاصة.

ويتابع الفنان محمد يوسف على بحثه الفراغي عبر تجريد للكتلة ليأخذ أجزاء من الطبيعة ككتل خشبية من جذع النخل وسعفه ليولف من تلك الأجزاء تكويناته الخاصة ويترك للرسل احتضان تلك التوليفات.. هذا في بعض تجاربه أما في هذا المعرض فكان له تكوينات من السعف وسط القاعة أتى بها عبر أنفاق ليكون عمله الفراغي بتجرد خاص.

ويقدم الفنان محمد فهمي أعماله الجديدة عبلسلة لتجاربه اللونية المستمرة عبر شفافية خاصة وإن كانت ألوانه قوية ويقدم تكويناته اللونية بتوازن واضح وبذلك تتضح شاعريته من خلال مساحات اللوحة وكأنه يكتب باللون مقاطعه الشعرية، وإن بدا الاختزال بالتفاصيل في هذه التجربة، ولكن مع ذلك ظهرت بعض التفاصيل التي يحب أن يقدمها في بعض الزوايا مع تواجد المساحات اللونية التي وجدت فضاءً واضحاً يجعل المشاهد في رحلة بصرية مريحة.

الفنان محمود جميل الموحي يوغل في إقحام عناصر عبر ازدحام ضمن مساحة لوحته وإن أخذت التفاصيل خصوصيتها لونياً ولكن مع ذلك يتراقص مع زحمة عناصره زحمة لونية أيضا ويذهب في ملامح شخوصه إلى الوحشية نوعاً ما.

الفنانة د. نجاة مكي تقدم رموزها بين هندسية وبين أشكال باللون وبطريقتها لتتابع بحثها الشكلي لتأتي بمشاعرها الإنسانية عبر مساحات اللون وتتابع تجاربها اللونية عبر أخذ مختصر اللقطة ونقل لك بحرفية خاصة إلى مربع أو مستطيل اللوحة، وتعبّر براحة عن مكنونات نفسية وروحانية اختزلتها من خلال اللون والرمز لتترك التجربة عبر متوالية شكلية مستمرة لا تنتهي.

وباختصار يمكننا أن نوجز هذا المعرض الذي جمع هذه التجارب المختلفة لفنانين لهم تأثيرهم على الحركة التشكيلية في الإمارات من خلال البصمات الواضحة، بأنه عرض خاص موجز وكأنه بانوراما سريعة لاتجاه مهم في التشكيل الفني في الإمارات، وهل يمكننا تصنيف فناني هذه الجماعة بانتمائهم للحداثة بمثابة اتجاه فني بدأ بمشوار ما بعد الحداثة في المحترف الإماراتي، ربما يمكن أن نقول أن جماعة الجدار وإن امتلك فنانوها صفات الحداثة ولكن بمقابل مجموعات أخرى ثبتت ما بعد الحداثة نجد هذه الجماعة قد أسست لاتجاه فني أكثر صرامة وحميمي في ذات الوقت وأن انقطعت فترة عن العرض كجماعة، ولكن فنانيها يبقون كأهم وأنشط فناني الساحة التشكيلية في الإمارات.

* تشكيلي من سورية يقيم في أبو ظبي

هدية العدد «رواية الحرب اللبنانية» لعبده وازن:

حجازي يرد على مهاجميه في «دبي الثقافية»

دبي - «القدس العربي»:

صدر أخيراً عن دار «النهر» للصحافة والنشر والتوزيع عدد شهر مايو رقم (48) من مجلة «دبي الثقافية»، حيث تضمن العديد من الموضوعات الثقافية الهامة إضافة إلى هدية العدد كتاب جديد للشاعر والناقد اللبناني عبده وازن تحت عنوان «رواية الحرب اللبنانية: محترق وتمازج».

من جهته تساءل رئيس التحرير سيف الرّزي في افتتاحية العدد قائلا: هل الأزمات تلد الأزمات أم تولد التغيير؟ حيفة من أزمة الثقة في النفس التي تجتاحنا الآن، وشديدة هي ظاهرة الإحباط العام، وعدم اليقين والخوف من المستقبل، ورغيب هو هذا الاستسلام أمام موجة الهيمنة التي يمارسها الغرب ضربنا بحمية حماية حضارته وكأنه لا وجود لها إلا على أرضنا.. ولو استبدلنا بكلمة حضارته الهوية، كلمة مطامعه، لكنا على الألق. أنصفنا أنفسنا من الشرب من تحمل المسؤولية الأدبية!.

وأضاف: حري بالأمة وهي تجتاز في أكون الأزمات المتشابكة كتشابه خيوط شبكة الصياد، أن تراجع نفسها، وتفكر بعمق فيما أتت إليه الأمور.. وأول ما يجب الاتفاق عليه هو إيقاف الأزمات البينية التي تجر مرتعا خصبا لمن أراد إشعال نار الفتنة بين الأقليم العربية المنقطة على نهج الاختلاف منذ أمد بعيد.

تعلن «دبي الثقافية» في العدد الجديد أسماء الفائزين بجائزة دبي الثقافية، للإبداع، فرع الفنون التشكيلية، الدورة السابعة 2008/2009، حيث فاز الفنان اليمني طلال النجار بالمركز الأول، وقد تصدرت لوحته الفائزة من أفضل وجه إنسان، غلاف العدد الجديد..

يضم العدد باقوارما عن حدائق دبي التي تتميز بالخضرة الخضراء، وأشهرها زعبيل والصفا والخور والممزر، يقلم رانيا حسن، وبانوراما ثانية عن القناطر الخيرية في مصر التي تمد أعظم حدائق الشرق، وتبلغ مساحتها 450 فدانا، أقامها الباشا، في «بطن البقرة»، يقلم محمد القوسي، إضافة إلى بانوراما ثالثة حول حديقة لوكسمبورغ، وهي أشهر معالم باريس التي شيدتها الملكة ماري دي ميدسيس عام 1916، يقلم فابيولا بدوي.

كما يضم العدد إطلالة على مهرجان المنفيج السينمائي الثاني الذي شهد تميزاً للمرأة الإماراتية وهيمنة عراقية على هذا الاستمرار أما موجة الهيمنة التي يمارسها الغرب ضربنا بحمية حماية حضارته وكأنه لا وجود لها إلا على أرضنا.. ولو استبدلنا بكلمة مصالحه الهوية، كلمة مطامعه، لكنا على الألق. أنصفنا أنفسنا من الشرب من تحمل المسؤولية الأدبية!.

وأضاف: حري بالأمة وهي تجتاز في أكون الأزمات المتشابكة كتشابه خيوط شبكة الصياد، أن تراجع نفسها، وتفكر بعمق فيما أتت إليه الأمور.. وأول ما يجب الاتفاق عليه هو إيقاف الأزمات البينية التي تجر مرتعا خصبا لمن أراد إشعال نار الفتنة بين الأقليم العربية المنقطة على نهج الاختلاف منذ أمد بعيد.

تعلن «دبي الثقافية» في العدد الجديد أسماء الفائزين بجائزة دبي الثقافية، للإبداع، فرع الفنون التشكيلية، الدورة السابعة 2008/2009، حيث فاز الفنان اليمني طلال النجار بالمركز الأول، وقد تصدرت لوحته الفائزة من أفضل وجه

بعد أن كشفت الإضرابات حجم الكارثة، كما كتب سعيد شعيب، وتسلط الضوء على أشهر نجمات هوليوود «أودري هيبورن» التي تبلغ اليوم ثمانين، يقلم عصام زكريا، فيما تقف عند بدر الدين أبو غازي، وزير الثقافة الذي رفض تنفيذ أوامر السادات فأقاله، كما كتب كمال الجويلي، فيما تقف «دبي الثقافية» أيضا عند الفنانة التشكيلية الإماراتية سلمى حاوره محمد غبريس، إضافة إلى وقفة مع فن البورتريه، وكيف رسم عظماء الرسامين وجوههم، يقلم يحيى البطاط.

كذلك يحتوي العدد الجديد على دراسة حول مشكلات الديوان الأخير لدرويش الذي صدر بعد رحيله، يقلم عبده وازن، ودراسة ثانية تحت عنوان «نحن والغرب.. مشاهد تضحك وتبكي!» يقلم الدكتور أسامة أبو طالب، إضافة إلى إضاءة على عبد الكريم الخطيبي، المفكر المغربي الذي فضح «موتى سارتر»، يقلم ياسين عدنان، ونص مفتوح تحت عنوان «لم يعد هناك نقاء عرق في الكتابة»، يقلم أحمد الشهاوي.

من الموضوعات العدد الجديد جولة في المتحف البريطاني في لندن الذي استضاف إيمراطور العصر الذهبي في إيران الشاه عباس، يقلم مجدي موسى، ووقفة مع فرقة منير بشير التي تعد الأولى في الوطن العربي المتخصصة بالأداء الجماعي لآلة العود، كما كتب جبار البهادلي، إضافة إلى حوار مع عازفة الكمان اللبنانية فاتينا عبود نصار التي قالت: الكمان يعلمنا الفرح!، كما حاورتها سليمى حمدان، فيما يروي الناقد الموسيقي اللبناني إلياس سحاب تفاصيل لقائه الأول مع الموسيقار محمد عبد الوهاب في فندق بيروت عام 1958.. من جهته قال مدير التحرير ناصر عراق، في مقالته تحت عنوان «النوشو: لغة النساء السرية جدا» عندما ماتت عند الفنانة التشكيلية الإماراتية سلمى رحلت معها أخطر الأسرار النسائية واللغوية في الصين: إن لم يكن في العالم كله! بعد أن ظلت محتفظة بهذه الأسرار لمدة 98 عاما، هي عمرها كله.

وأضاف: اختفت بإنتهاء، واختفت معها لغة «النوشو» إلى الأبد، تلك السرية جدا التي لا تتحدث بها إلا النساء فقط، وتحديدا أولئك النسوة اللاتي يعشن في المناطق النائية بوسط وجنوبي الصين.

كالعادة تضمن العدد مجموعة من المقالات بأقلام أهم الكتاب والشعراء والأدباء العرب منهم: أدونيس، وعبد العظيم حجازي وإبراهيم الكوني، والدكتور كمال أبوديب، والدكتور جابر عصفور، والدكتور صلاح فضل، والدكتور عبد العزيز المقالح، والدكتور عبد السلام المسدي، والدكتور محمد برادة، ومحمد علي شمس الدين، وفاطمة يوسف العلي، وفخري صالح ومصطفى عبدالله، وأحمد ناصر وأحمد الشهاوي وسعد سرحان..

هدية العدد.. رواية الحرب اللبنانية

بالنسبة إلى هدية العدد كتاب جديد للناقد اللبناني عبده وازن تحت عنوان «رواية الحرب اللبنانية: مدخل ونماذج»، يقصيدر عن مجلة «دبي الثقافية»، ويوزع مجانا مع المجلة، وهو يقع في 120 صفحة من الحجم المتوسط، ويحتوي على قراءات في ست روايات هي: «رحلة غاندي الصغير» للروائي إلياس خوري، «مزيزي» السيد كوابانا، للروائي رشيد الضعيف، «مريم الحكايا» للروائية عفوية صبح، «ارتسان على شاطئ البحر» للروائية حنان الشيخ، «مدرسة الحرب» للروائي إسكندر نجار، «تقرير مهلبس» للروائي ربيع جابر، يقول رئيس التحرير سيف الرّي في مقدمة الكتاب: يموي الكاتب بين يقتيه أيدا رائعا، وتمثيلا، وإنما يستحق أن نعده دراسة نقدية خاصة لم يتعرض لمثلها في الحالة الفنية أحد سواه.

ويضيف: مع كثرة ما من بالمكتبة العربية من آلام وضحايا وحروب وكوارث، إلا أن الاهتمام بهذا اللون القصصي لم يحظ بما يستحقه من اهتمام ومتابعة، ونحن في دار القدس، ومن خلال هذا الإصدار الشهري، يسعدنا أن نقدم هذا الكتاب هدية لقرائنا، ونتمنى عليهم أن يولوه نفس الاهتمام الذي أولاه إياه الأستاذ عبده وازن..

أما سمير التحرير ناصر عراق فقد كتب تحت عنوان «عبده وازن وسلاسة النقد الروائي»: في هذا الكتاب المدهش يرصد الشاعر والناقد اللبيز عبده وازن أهم الروايات - من وجهة نظره - التي تناولت الحرب الأهلية اللبنانية بصورة أو بأخرى، فيصطحبنا خطوة خطوة لنرى ونلمس أجواء أبطال ماتوا في هذه الحرب من دون وجه، أو آخرين نفوا أحيتهم من دون ضرورة.

سابقة غريبة في الصحافة العراقية:

حين يَطال الفساد كلّ شيء!

باسم المرعبي *

■ يبدو أنّ الفساد لا ذاصرَ في مكان ما فانه لا يُبقي زاوية دون أن يتخلغل فيها حتى تلك التي يحسبها المرء محصنة أو التي ينبغي أن تكون حارساً ضد كل أشكاله. لكن لا يذهب الخيال بنا بعيداً فالنفوس الضئيلة يمكن أن تتواجد أو تتسلل الى أي مؤسسة ودائرة طالما ليس هناك من وازع أخلاقي داخلي أو وعي يتأى بصاحبه عن الدناءات أو سد صلد يحول دون ذلك يتمثل بقانون رادع يُعتَبَر به أو اجراءات صارمة، ففي غياب كل هذه الآليات يغدو كل شيء مباحاً لدى الفاسدين والمفسدين اولاء الذين هي ما يبدو لا حدود لشراهتهم وجشعهم وتوسلهم أية طريقة للسطو وسلب حقوق الآخرين.

وكعواطن عراقي أشعر بالغ مرارة من أنباء الفساد التي تعصف بالبلاد، الفساد الذي تحوّل الى رافد للارهاب والإجرام والشرف والجهل والتخلف وكل أشكال انحطاط الحياة في البلاد.

كانت الأموال الهائلة من عائدات النفط أيام صدام بدل أن تذهب للاعمار وتطوير البلد وزيادة رفاهية المواطن العراقي تتحول عطيا الى أدوات قتل مباشر للشعب عبر انفاقها في حروب بالوكالة، حروب حولت العراق الى حطام وأحالت حياة المواطن الى شحّام.

أعتقد أنّ مثل هذه المقدمة ضرورية لدخول في صلب ما حدثَ في الصفحة الثقافية لجريدة «المدى» العراقية، فالفساد واحد لا يتجزأ وكل عملية فساد أينما كان ميدانها فهي في المحصلة تؤدي الى نهايات كارثية عنتيجة مباشرة مترتبة عليها من جهة ومن جهة اخرى فإنها تسوّق و تشيع لثقافة النهب وتجاوز القانون في بلد بات كانه يتنافس لتثويد سنوات عاصفة من الرماد أعادته الى صفر الأشياء وهو الذي كان على الدوام مهبط الحداثة وحاضنتها. ولا شك أنّ أية حادثة فساد تأخذ منحى آخر أكثر تفاقماً حين يكون مصدرها ما يُتلمس فيه النزاهة والرقابة على مثل هذه النواهر والمجال الذي نعنيه هو الصحافة، السلطة الرابعة بحق والتي يسعى البعض الآن في العراق لادراجها في الدستور بهذه النسبية وبما تحوزه من نفوذ. لكن هذا المجال أضمى، للأسف، في العراق مرتعاً للجهلة وأنصاف الأميين والعاطلين من كل موهبة وفاعلية. في هذا الصدد لا يمكن أن أنسى صرخة الدكتور هاشم حسن الأستاذ في كلية الإعلام، جامعة بغداد في اجتماع لنقابة الصحافيين قبل أشهر بأن هذه النقابة تضم عشرة آلاف اسم مزيّف!

تصوروا عشرة آلاف شخص ينتحلون صفة صحافي في بلد مضطرب ودَمي مانا يمكن أن يفعلوا؟ ثمّ ما هذا التكاثر والاستسهال المجاني لمهنة «المتاعب»! وفوق كلّ ذلك عشرة آلاف صحافي مُدّس! الا يذكّر هذا الرقم بل هذه الكارثة بكارثة الإثنين وستين الف شرطي فاسد الذين طردتهم وزارة الداخلية في الآونة الأخيرة!!

لص يصول ويجول في المدى:

لقد اكتشفتُ هذه السرقات عبر موضوعين، في البداية، يتعلقان ببورخس نُشرا في صفحة المدى الثقافية خلال شهر آذار (مارس) وكان الفارق بين نشر الموضوع عبرين بضعة أيام وقد كتبت عنهما في حينه ولم اكمل الموضوع بسبب زحمة العمل والمتطلبات الأخرى على أني كنت أتساءل لكن المهزلة - المأساة قد بلغت ذروتها يوم الأربعاء 15 نيسان (ابريل) 2009 حين عمدها اللص المتمادي الى سرقة صفحة المدى الثقافية ذاتها فقد «أعاد» أو سرق موضوعاً كان قد نشر في نفس الصفحة قبل نحو سبعة أشهر ونشره في التاريخ المشار اليه أعلاه أي 15 نيسان (ابريل) 2009. فأي فساد هذا وقعت في حبائله هذه الصفحة وقارئها الذي منحها ثقته. ولم تقتصر السرقات على الموضوعين الآنفين أو واقعة سرقة الجريدة نفسها بل كانت هناك سلسلة سرقات زادت على الإثنتي عشرة - حتى الآن - تكشف تفاصيلها عن اصرار «انتباه» أعتي سارقها على جريمته غير آن ما يلفت النظر هو الظلمة الصاعقة التي اتصف بها محرر الصفحة اضافة الى ما يشير الى «تورط» ما في هذه القضية، إذ ثمة دلائل وقرائن تقول أشياء أخرى أيضا. عبر النشر المتواتر للسارق (الجديد بالذكر ان الصفحة تمنح مكافآت لكتابها)، كما ان الاسم الوهمي الذي توقع به «المسروقات» يثير الريبة حيث لا وجود لصاحب الإسم كهذا حقيقي، حسب تدقيقنا، والقرينة المهمة الأخرى ان هذا السارق «الناشط» لم يحقق «وجوده» الزائف الا على صفحة المدى الثقافية وصفحتين أخريين قريبتين من الثقافية هما «تشكيل وعمارة» و«سينما ومسرح» أي ان هذا الأسم لم يُنشر له أي شيء خارج نطاق هذه الصفحة؟ و ذروة هذه الشكوك هو أن يعمد أي سرقة الصفحة التي دأبت على قبول سرقاته ويختار موضوعاً منسوباً للصفحة نفسها: «المدى الثقافي» وسيأتي تفصيله.

تفصيل السرقات

الموضوع الأول:

تعود بداية اكتشافي للموضوع كما أسلفت من خلال المقال المعنون: «مَنْ حكاية القصص» وهو موضوع محاضرة شهير لبورخس ضمن سلسلة محاضرات باتت معروفة له عن فن الشعر وقد تُرجم أكثر من مرة غير ان نسخة المترجم المتميّز صالح علماني هي التي وقعت بيد لص الأدب الجديد المدعو اسماعيل خليل مجيد ولا أدري ان كان من وجود فعلي لشخص بهذا الاسم أم ان المسألة لا تتعدى التزوير مثله مثل الترجمة المنتحلة. على أية حال ما ان اطلعتُ على الموضوع منشوراً في المدى الثقافي، الأربعاء 4 آذار (مارس) 2009 حتى تذكرت ان العنوان قد مرّ عليّ سابقاً، أنا الشغوف جدّ الهوس ببورخس وعوالمه العجيبة ما يدعوني الى ملاحقة كل ما يمكن أن يضيف لي جديداً عن هذا الكاتب أو حتى يعيدأو يستعيد قديماً لديه.

ولا أخفي القارىء اني ارتبت بداية في أن يكون الموضوع منحولاً - شيء من الإحساس المفاجىء - ولم يكن هذا سوء ظن، وإن كان هذا مطلوباً فهو من حُسن الظن كما يُقال، خصوصا ان صاحب الترجمة المزعومة اسم غفل تماما و هو ما يدعوني الى التدقيق بداية في هذا الزمن المختلط. وهو ما كان حقاً للاسف. فمنذ الأسطر الأولى يكتشف النص الجاهل عن قصد بنفسه و ما يدعو الى العجب حقاً في أن غباءً متجسداً مثل هذا يستطيع سبيه للباشر، ما الذي يغريه في عالم الأدب والثقافة ولم الترجمة بالذات أو بورخس و عوالمه؟ وإن يكن بالضرورة كان أو سيبقى مقتصراً على هذا الضرب من السرقات واعتقد أن لا شيء يفسر ذلك سوى الجشع والفساد فهذا ممكن أيضاً في ما له علاقة بما هو ثقافي و ان كان الن يذهب الى العكس أو هو ما يجب أن يكون أي ضرورة خلوّ هذا الميدان من الفساد والمفسدين. لكن ما الحبر و جميع مفاصل الحياة العربية تشكو التلوث و الفساد. يبقى والحال هذه في أنّ العجب هو ان لا يمتد الانحراف الى الثقافة أيضا وفي نفوس الكثيرين كل مقومات ذلك!

وبالعودة الى تفاصيل الموضوع والكلمة التي كشفت تحاول المترجم المزعوم و «جرائه» أو ردّ هذين السطرين كما نسخها حرفياً مثلما نُسخ الموضوع أو بالأحرى بعضه فالمجرّة المسروق من «نوافذ» نُسخ بحذافيره و الدهش لم تستوقف السارق في المحرر الثاني (الجازة) كلمة «نوافذ» وكأنها من صلب المحاضرة وليست كلمة تأطرت وفق ما يلائم تماماً:

(تنشرها المحاضرة الثالثة، وهي الأصغرين المحاضرات، بعنوان «من حكاية القصص». وسنعمد في اعداد «نوافذ» المقبلة الى نشر بعض المحاضرات الأخرى من السلسلة نفسها).

فلماذا كانت «نوافذ»!! بالصحيفة، أي المدى، التي ينشر بها موضوعه الراهن هذا؟!

و نوافذ هو للمحفل الأسبوعي الثقافي لجريدة المستقبل اللبنانية والذي نشرت عبره ترجمة صالح علماني في 14 أيار (مايو) 2006 والملحق يعد قرّاءه بتقديم المزيد من محاضرات الكاتب ذات الصلة.

إذاً للأسف تحقق سوء الظنّ هذا، فالسرقة واقعة حقيقة وقد عمد السارق الى بتر الموضوع وأخذ ثلثه فقط إذ بلغت كلماته في نسخة «نوافذ» الأصلية 1566 كلمة في حين أنّ الجزء المنشور في المدى بتاريخ 4 آذار (مارس) 2009 بلغ 448 كلمة.

الموضوع الثاني:

«في ذكرى وفاة ساحر الكلمة بورخيس.. نمر أرجنتيني بربطة عنق صفراء»: المدى الثقافي: 11 آذار (مارس) 2009 مسروق من جريدة النهار اللبنانية: 15 تموز (يوليو) 2006 وهو للكاتبة زينب عساف وكان حرياً بالسارق أو المحرر أو كليهما الانتباه في مثل هكذا موضوع الى التدقيق في المناسبة وراجعة سيرة الكاتب موضوع الحديث لكنها الا حرفية أو العجلة أو انتفاء الفطنة أو كل ذلك مجتمعاً وقبل كل شيء الفساد الذي يُعمي و يصم، فذكرى وفاة بورخس تصادف في تموز (يوليو) وليس آذار (مارس) وكان يمكن التحقق من ذلك بمنتهى السهولة.

الموضوع الثالث:

«أوكتافيو باث الشاعر السياسي»: المدى الثقافي: 24 آذار (مارس) 2009. مسروق من جريدة أخبار الأدب المصرية العدد 774 الصادر في 11 أيار (مايو) 2008. وهو يحمل توقيع عصمت شاهين.

الموضوع الرابع:

«بورخس وماريغيت بورستاريتذكران فيرجينيا وولف.. امرأة تخفي ما هيها.. مثل عاملة فرنسية»: المدى، صفحة سينما وسرح: 31 آذار (مارس) 2009. مسروق من صحيفة الشرق الأوسط: 6 كانون الأول (ديسمبر) 2003 وهو للكاتب والمترجم المغربي المعروف ابراهيم الخطيب.

الموضوع الخامس:

«سنفاذرو دالي عشق ذاته فاحتقر عالمه»: المدى، صفحة عمارة وتشكيل 1 نيسان (أبريل) 2009. مسروق من صحيفة البلد اللبنانية مطلع العام 2007 للكاتب فريد قمر وقد أعاد موقع العافية الالكتروني نشره بتاريخ 20 شباط (فبراير) 2007 والموضوع مكرس للذكرى الثامنة عشرة لوفاة الفنان دالي غير ان السارق يتنبه أو يُنبّه هذه المرة ليغيّر من رقم الذكرى ليكون العشرين بعد مرور عامين على النشر الأول.

الموضوع السادس:

«القاص والشاعر الإسباني خوان خوسيه سواريث: تأثير الأدب العربي عظيم في ثقافتنا»: المدى الثقافي: 14 نيسان (أبريل) 2009 مسروق من شبكة الإعلام العربية (محيط): 11 كانون الثاني (يناير) 2009. وفي هذا الموضوع يقترف السارق تغييرات مضحكة ويضع على لسان الكاتب أشياء لم يقلها من أجل تكييف سرقته للصفحة. لمعرفة تفاصيل ذلك يُستحسن الرجوع الى الموضوعين في نسختيهما الأصلية والمسروقة.

الموضوع السابع:

«رواية دون كيشوت.. الشك المستمر على طول الخط»: المدى الثقافي 13 نيسان (أبريل) 2009 مسروق من الصفحة الثقافية لجريدة النهار اللبنانية: الثلاثاء 27 كانون الأول (ديسمبر) 2005 وتُعاد نشره في موقع جهة الشعر.

الموضوع الثامن:

«من ذاكرة الفن: بيكاسو: أنا لا أبحث بل أجد»: المدى، صفحة عمارة وتشكيل 4 آذار (مارس) 2009 مسروق من ملحق ثقافة الخميس، صحيفة الرياض السعودية: 18 كانون الثاني (يناير) 2007. وهو للكاتب خليل قديد.

الموضوع التاسع:

«إسبانيا فرناندو مارياس: كتبتُ عن العراق لأنه أصبح موضوعنا المشترك»: المدى الثقافي: 25 شباط (فبراير) 2009 مسروق من مجلة «الحواء»، «مدريد-اسبانيا» التي نشرت حواراً مطولاً مع الكاتب مارياس وقد مت له بتعريف للرواية لمناسبة صدورها. العدد 20 الصادر سنة 2005. فكانت هذه المقدمة صيداً للسارق رماه للمدى كالعادة.

الموضوع العاشر:

«مدريد تجمع ثلاثة رسامين عالميين فرقهم التاريخ ... واعرافات وغويا وبيكاسو في ذكرات مختلفة»: المدى الثقافي: 6 آذار (مارس) 2009. مسروق من صحيفة الزمان: 25 شباط (فبراير) 2004 وهو للكاتبة ملك مصطفى.

الموضوع الحادي عشر:

«روسا ريفاس وبيسيون تت يقدمان الرواية المذبوحة بالإسبانية»: المدى الثقافي: 15 نيسان (أبريل) 2009. مسروق من «المدى الثقافي»: 6 تموز (يوليو) 2008 التي أخذته بدورها عن وكالات ومواقع كثيرة نشرت الموضوع في حينه وهو عبارة عن «مقدمات» رواية الكاتب السعودي عبد الله زايد «مبوءة» المنشورة بالإسبانية اول مرّة عام 2006 وفي طبعة ثانية 2007.

الموضوع الثاني عشر:

«خوزيه ساراماغو.. الموت في إجازة»: المدى الثقافي: 20 نيسان (أبريل) 2009. مسروق من جريدة العرب القطرية 7 كانون الأول (ديسمبر) 2008 والموضوع للكاتب عبد الجبار ناصر.

الموضوع الثالث عشر:

«شوان ميرو الفنان الذي لم يدع نفسه تخطئ»: المدى الثقافي: 22 نيسان (ابريل) 2009. مسروق من موقع ميدل ايست اونلاين: 22 نيسان (ابريل) 2007. بترجمة عبدإرانه سامي محيوز.

وأخيراً.. لا أخفيكم اني تعبت وقرفت وأنا أقتفي آثار هذا اللص لكثرة سرقاته «التامة» للموضوعات كما هي بعناوينها الأصلية دون أدنى تغيير الا ما ذكرناه في موضعه وهو معدوم تقريباً وهذه سابقة غير معهودة سواء في الصحافة العراقية أو العربية عامة وعلى أقل تقدير. حسب علمنا. وأحسب ان السارق بذلك قد ضرب رقماً قياسياً في ما اقترفه رغم اننا لم نكتشف كل شيء حتى الآن فقد يكون هناك ما هو مخفي أو ما هو أعظم ولم نستطع التوصّل اليه وهو ما يحتاج الى جرد دقيق لمختلف صفحات المدى خاصة تلك التي تتعلق بما هو ثقافي وفني أو قريب من ذلك فالشك قائم بوجود مواد أخرى مسروقة رغم كثرة ما اكتشفناه حتى الآن.

ولا شك أنّ ورود هذا الاسم، اسماعيل خليل مجيد، ينبغي أن يثير الريبة أيضا وكيفما وردت لكن الريبة أيضاً تتزصد بلدي فلماذا كانت هي دون غيرها، طيلة سرقاته، الميدان الوحيد لنشاطه كما ان ملاحظة أخرى تتحضّل وهي أنّ معظم السرقات تتعلق بنوع واحد تقريباً هو الذي يخص الثقافة الناطقة بالإسبانية كما يُلفت الإنتباه المستمر من قبل السارق على انتحال صفة مترجم! أسئلة كثيرة تُحال الى المحررين وأغلبهم في صحيفة المدى التي تعامل معها حصرياً و «برزه» عبر أكثر من صفحة فيها. فعلى الصحيفة التحقق من كل هذه الانتهاكات لحقوق الملكية الفكرية سريعاً لأن في ذلك مساً بمن مهنتها ويجعلها عرضة للتساؤل سيما وان السارق مستمر في انتهاكاته التي جعلت من هذه الصحيفة ومن غيرها مسرحاً لها؟!

* شاعر من العراق يقيم في السويد